مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 12 عدد: 4، ديسمبر 2023
ص: 334 - 345 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

مرجعيات التناص في قصيدة "ما لم تقله زرقاء اليمامة" لمحمد عبد الباري

The references of intertextuality in the poem "What Zarqa al-Yamamah Did Not Say" by Muhammad Abd al-Bari

صولح منصور[1] * / أ.د رمضان حينوني[2]
Mansour Souleh[1] / Ramdan Hinouni[2]
مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تامنغست
جامعة تامنغست (الجزائر)
Universétè of amine ellokkal el hadj moussa- Tamanghasset (Algeria)
M.souleh@univ-tam.dz[1] / ramdanne@gmail.com[2]

تاريخ الإرسال: 2023/08/07	تاريخ القبول: 2023/11/03	تاريخ النشر: 2023/12/15

ملخص البحث

التناص في الأدب العربي وخاصة الشعر منه، ظاهرة قديمة قدم النص الأدبي، نحاول في هذا المقال تسليط الضوء على نموذج عربي معاصر تمثل في قصيدة "ما لم تقله زرقاء اليمامة" للشاعر السوداني محمد عبد الباري، وذلك لإبراز أهم المرجعيات التي استند عليها الشاعر في توظيف التناص. ولا يخفى على دارس ما حظيت به قصة زرقاء اليمامة من اهتمام لدى الشعراء العرب في العصر الحديث، لما لها من إشارات وإيحاءات ورمزية للوضع الحالي.

ونطرح في هذه المقاربة سؤالين جوهريين هما: ما هي المرجعيات الفكرية التي تشكل منها التناص في هذا النص؟ وهل خدمت النص من حيث قدرته على التأثير في المتلقي؟

ولقد تم التركيز في هذه الدراسة على ثلاث مرجعيات، لها صلة وثيقة بالفكرة الرئيسية للقصيدة، يتعلق الأمر بالمرجعية الأدبية والتاريخية والدينية، وسنخصص لكل منها حديثا، بوصفها (أسلحة) الشاعر في التأثير في القارئ، ودفعه إلى التفاعل مع النص.

الكلمات المفتاحية : التناص، المرجعية، الشعر العربي المعاصر، تداخل النصوص، التناص الأدبي

Abstract :

Intertextuality in Arabic literature, especially poetry, is a phenomenon as old as literature. in this article, we try to highlight a contemporary Arabic model represented in the poem "what Zarqa' Al yamamah did not say" by the Sudanese poet Mohammed Abdel Bary, in order to highlight the most important references on which the poet relied to use intertextuality. It is no secret that the story of Zarqa Al-Yamamah has attracted the attention of Arab poets in the modern era, due to its references, its connotations and its symbolism of the current situation.

* صولح منصور: mansoursouleh17@gmail.com

In this approach, we ask two fundamental questions: What are the intellectual references that make up the intertextuality in this text Have you used the text in terms of its ability to influence the addressee

We focus on three references, which are closely linked to the main idea of the poem, it is the literary, historical and religious reference, and we will dedicate a presentation to each of them, as the poet's weapons to influence the reader, pushing him to interact with the text.

Keywords: intertextuality, references, contemporary arabic poetry, textual interconnections, literary intertextuality.

مقدمة :

يعد التناص من بين أهم القضايا التي خاض فيها جل علماء اللغة والبلاغة والنقد والأدب تعريفا وتفسيرا وتأويلا، فهي ظاهرة طبيعية في النصوص الأدبية، لكن توظيفها يختلف من أديب لآخر تبعا للخلفية الفكرية والثقافية التي ينطلق منها، من هنا يعمل الدارس على تبين ملامح الجمال في كل تناص، على افتراض أن توظيفه ليس من قبيل الترف التعبيري، وإنما لغاية فنية تسهم بشكل أو بآخر في تقبل العمل الأدبي وتذوقه.

ومن هذا المنطلق ارتأينا أن يكون بحثنا محاولة لتبين التناص من خلال الكشف عن مرجعياته في نص عربي جديد، تمثل في قصيدة "ما لم تقله زرقاء اليمامة " للشاعر السوداني محمد عبد الباري من ديوانه "مرثية النار الأولى"، وذلك من خلال ربط مرجعية التناص بالمظهر الجمالي.

وارتأينا بعد قراءة متأنية للنص أن نركز على ثلاث مرجعيات اتكأ عليها النص، تمثلت في المرجعية الأدبية والتاريخية والدينية، وهي الأكثر حضورا في النصوص الأدبية العربية على وجه العموم، وبخاصة عندما يتعلق الأمر بالشعر السياسي أو الذي يتناول قضايا الأمة.

1- **التناص الأدبي (مرجعية أدبية):**

التناص الأدبي سواء في النثر أو الشعر هو استحضار لشخصية أدبية، أو نص أو فكرة أدبية في نص جديد، ومن أمثلة ذلك التي لا تعد ولا تحصى في النصوص النثرية أو الشعرية نجد ما يلمح له زهير بن أبي سلمى في قوله:

ما أرانا نقول إلا رجيعا * أو معادًا من لفظنا مكرورًا**[1]

في الشطر الأول يشير الشاعر زهير بن أبي سلمى إلى واحدة من أهم ما يستدل به في أن النص الشعري ما هو إلا فسيفساء من نصوص سابقة له سواء نقلا حرفيا أو فكرة، واستغلالها في معنى جديد لإضافة صورة شعرية مميزة في النص الجديد.

ومن خلال قول زهير بن أبي سلمى في إقراره بوجود نصوص أخرى في نصوصه، وهو الشاعر نجد أنه «إذا تناول الشاعر المعاني التي سبق إليها، فأبرزها أحسن من الكسوة التي عليها لم يعب، بل وجب له فضل لطفه، وإحسانه فيه»[2].

ومن أمثلة التناص الأدبي في الشعر الحديث حين يبدأ الشاعر يوسف واغليسي قصيدته:

واقف استعيد بقايا الجراح
في خريف الهوى ... عند مفترق الذكريات
كصفصافة صعرت خدها للرياح[3]

هنا يرحل بنا الشاعر إلى العصر القديم حاملاً فكرة الوقوف على الطلل مستمدا معنى شهيراً لامرئ القيس عندما يفتتح معلقته:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل

بغض النظر عن الألفاظ في مقارنتنا بين الشاعرين، نجد أن الشاعر يوسف واغليسي يستلهم أو يستحضر فكرة الوقوف على الطلل من امرئ القيس، فسبب الوقوف يختلف، لكن الوقوف هو نفسه في الصورتين وقوف حسرة وألم وندم، وهذا ما قد نسميه بالتناص الأدبي، ويختلف من نص إلى آخر في طريقة استحضار النصوص واستعمالها، وفي القصيدة محل الدراسة يتجلى التناص الأدبي في **العنوان: "ما لم تقله زرقاء اليمامة"** الذي يحيلنا إلى التراث العربي، في قصة امرأة عربية تميزت بحدة البصر حتى أنها ترى لمسيرة ثلاثة أيام، في كتاب العقد الفريد: «زرقاء اليمامة : زرقاء بني نمير: امرأة كانت باليمامة تبصر الشعرة البيضاء في اللبن، وتنظر الراكب على مسيرة ثلاثة أيام، وكانت تنذر قومها الجيوش إذا غزتهم، فلا يأتيهم جيش إلا وقد استعدوا له، حتى احتال لها بعض من غزاهم، فأمر أصحابه فقطعوا شجرًا، وأمسكوه أمامهم بأيديهم فنظرت الزرقاء وقالت : إني أرى الشجر قد أقبل إليكم فقالوا لها : قد خرفت ورق عقلك، وذهب بصرك، فكذبوها، وصبحتهم الخيل، وأغارت عليهم، وقتلت الزرقاء، واقتلعت عيناها، فوجدوا عروق عينيها قد غرقت في الإثمد من كثرة ما كانت تكتحل به »[4].

يحاول الشاعر هنا أن يداعب ذاكرة المتلقي من خلال تناصه مع هذه القصة الشهيرة، مشيرا إلى تنبؤه بما سيحدث في واقعه متجاوزا رؤية الزرقاء بالعين المجردة إلى الرؤية الزمنية، فهو يحاول من خلال نظرته الاستشرافية ورؤيته المستقبلية أن يتنبأ بما سيحدث في المستقبل من أحداث قد تساعد في لجم ما سيحدث من كوارث في الوطن العربي من خلال ما يسمى الربيع العربي، فالقصيدة ظهرت في بداية هذا الربيع سنة 2011م، وقد توالت الأحداث وجرى ما جرى فكانت رؤية سديدة ساهمت في نجاح النص، فقد وظف التراث الغابر في نصه ليتنبأ بالمستقبل، ومفتاح هذه النبوءة هي عنوان النص ومقدمته:

شي يطل الآن من هذي الذرى
احتاج دمع الأنبياء لكي أرى

النص للعراف والتأويل لي
يتشاكسان هناك قال، وفسرا
ما قلت للنجم المعلق دلني
ما نمت كي اصطاد رؤيا في الكرى
شجر من الحدس القديم هززته
حتى قبضت الماء حين تبخرًا
لا سر فانوس النبوة قال لي
ماذا سيجرى حين طالع ما جرى[5]

حول الشاعر الوقوف على الطلل في الشعر القديم وتذكر الماضي، إلى وقوف على الطلل في الشعر المعاصر ليتنبأ بالمستقبل، فهو بذلك يستحضر وقوف امرئ القيس في قوله:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل[6]

وقد استعمل مصطلحات من علم التنجيم ورؤية الأنبياء وذلك باستعمال مصطلحات: دمع الأنبياء، العراف، التأويل، النجم المعلق، رؤيا، الحدس، فانوس النبوة، فهو بهذا يتعالق مع نصوص أخرى غابت في ثقافته العامة، ذلك كله لكي يبرر ما سيقوله للمتلقي.

وفي قول الشاعـــر:

في الموسم الآتي ستشتبك الرؤى
ستزيد أشجار الضباب تجذرا
وسينكر الأعمى عصاه ويرتدي
نظارتين من السراب ليبصرا[7]

هنا يزيد الشاعر من نظرته السوداوية، نتيجة الواقع الذي يعيشه، وكأنه يتنبأ بمستقبل مظلم، ونعتقد أنه يتناص مع شخصية أدبية، تتمثل في الكاتب والأديب طه حسين الذي ألف كتابه المثير للجدل "في الشعر الجاهلي"، وخلص في استنتاجاته وتحليلاته إلى إنكار الشعر الجاهلي رغم ما يعتقد السابقون واللاحقون[8].

ووجه مقارنتنا بين ما يوحي به النص وهذه الشخصية "طه حسين" هو أن طه حسين كان ضريرا وقد كتب ما أنكر به الشعر الجاهلي مستندا إلى الثقافة الغربية التي أراد أن يجسدها في الأدب العربي وكان له ما له، وعليه ما عليه، فكان صدامه أدبيا مع الكثير من الكتاب والنقاد في زمنه وصل إلى درجة الخروج عن الإطار الأدبي، وكذلك رأى الشاعر أن الثورات قد خرجت عن سياقها السلمي.

2- **التناص التاريخي(مرجعية تاريخية):**

يعد التناص التاريخي من بين أهم التناصات في الشعر العربي وخاصة الحديث منه، من خلال استحضار الشخصيات، والأحداث، والأماكن التاريخية، وخلق إبداعات منها في النص الجديد بالإشارة أو التلميح ومن بين أهم ما استوقفنا في هذا الباب قول فاتح علاق في قصيدته قيامة الشهيد:

مازلت أصرخ في المدى: الموت للحجاج

مازلت أنسج رايتي من جبة الحلاج
حتى يصل إلى
أنا ديدوش والعربي
أنا زيغوت والحواس
أنا لطفي وبو جمعة[9]

يستدعي هنا الشاعر شخصيات تاريخية : الحجاج، الحلاج، ديدوش مراد، زيغوت يوسف، العربي بن مهيدي، سي الحواس، لطفي وبوجمعة، واستعمالها لإيصال المعنى الذي يريده من هذا التناص العجيب بين النص والسابق من الشخصيات التاريخية المرتبطة بأحداث عديدة.

وفي القصيدة محل الدراسة يتجلى التناص التاريخي في:

ستقول ألسنة الذباب قصيدة
وسيرتقي ذئب الجبال المنبرا
فوضى وتنبئ كل من مرت بهم
سيعود سيف القرمطي ليثأرا
وسيسقط المعنى على أنقاضنا
حتى الأمام سيستدير إلى الورا[10]

يواصل الشاعر الاسترسال في استحضار القصص لبناء نظام تناصات بديعة في قصيدته، وهنا ينتقل من الدين إلى التاريخ فما قصة القرمطي؟ وما دورها في بناء القصيدة؟.

القرمطي هو مؤسس مذهب القرامطة حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط «وهم فرقة اسماعيلية، أقامت دولة إثر ثورة اجتماعية وسياسية ضد الدولة العباسية... يعدها بعض الباحثين من أوائل الثورات الاشتراكية»[11].

وقد استحضرها الشاعر استنادا واستلهاما من الأوضاع السياسية، والاجتماعية السائدة قبل الثورات العربية، وذلك الذي رأى فيه الشاعر أنه يشبه إلى حد كبير ما مرت به الدولة العباسية في ذلك العصر، أي قبل تمرد القرامطة على الدولة، وإعلان إمارتهم في جزء من هذه الدولة التي يعيش خليفتها نوعا من اللهو، واللامبالاة، رغم النصائح والتوجيهات التي كانت تأتيه من الأمراء والوزراء في دولته .

يقول الشاعر:

سيرى القبيلة وهي تصلب عبدها
فالأزد مازالت تخاف الشفرة[12]

صاحب لامية العرب "الشنفرة (70 ق هـ، 525 م) ثابت بن أواس الأزدي شاعر جاهلي من فحول الطبقة الثانية، كان من فتاك العرب وعدائيهم، وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم قبيلة بنو سلامان".

وقد قتل تسعة وتسعين من قبيلته انتقاما منهم على ضيمهم كما يعتقد، وقد تناص الشاعر مع قصة الشنفرة لرؤيته أن حالات الانتقام ستزداد بصورة كبيرة نتيجة الفوضى التي تعم الدول العربية إبان ما يعرف بالربيع العربي. ثم يقول :

سيرى المؤذن والإمام كلاهما
سيقول إنا لاحقان بقيصرا[13]

هنا يلتقي التناص الديني (الإمام والمؤذن)، بالتاريخي (القياصرة)، بالشعري أو الأدبي (إنا لاحقان بقيصرا) وهو جزء من بيت امرئ القيس:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

وهنا يستعمل الشاعر مجموعة من التناصات ليعبر بها عن حالة الفوضى السائدة في واقعه، وإلا فما علاقة المؤذن والإمام بالقيصر؟

3- التناص الديني (مرجعية دينية):

هو نوع من التناص يستوحي من خلاله الشاعر أو الكاتب شخصية دينية، أو آية قرآنية أو حديثا نبويا أو كل ما له علاقة بالدين والمعتقد لدى الشاعر أو الكاتب واستحضاره لإيصال معنى بطريقة سلسة وسهلة يقرب بها المعنى الذي يريده للمتلقي، ونجد الكثير من الشواهد والأمثلة على ذلك نذكر منها ما استوحاه الشاعر فاتح علاق في قصيدته انكسارات ربيعية[14] :

كذبت عاد بالنذر
وراغت ثمود إلى ناقتي

فقد استوحى الشاعر هذا البيت من القرآن الكريم ومن قصة عاد وثمود، في قوله تعالى(كذبت ثمود بطغواها)،[15] وقوله تعالى : (كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ).[16]

يقول بوزيد حرز الله :

حين اقرأ سورة يوسف استغفر
الذئب ألقي إلى البشر كل الذي سوف
يأتي من المغرضين الأحبة ثم ألوذ
إلى الكهف، أزكى فضاء يبدد ما في القصيدة
من عتمة[17]

يستدعي الشاعر في أبياته قصتين ذكرتا في القرآن الكريم قصة سيدنا يوسف عليه السلام، وقصة أهل الكهف مستمداً كل ذلك مم ذلك قوله تعالى: (قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ).[18] وقوله تعالى:(فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا).[19]

وفي القصيدة يتظهر التناص في قول الشاعر:

في الموسم الآتي سيأكل آدم
تفاحتين
وذنبه لن يغفرا[20]

في تناص ديني آخر يستحضر الشاعر قصة آدم عليه السلام حين حذره الله عز وجل من الأكل من الشجرة فوقع في الإثم وأخرجه الله تعالى على ذلك بحرمانه من الجنة ذلك في قوله تعالى : (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ...) [21]، استحضر الشاعر هذه القصة ليحذر من هول ما سيحدث في المستقبل فآدم أكل تفاحة واحدة وعقابه كان الخروج من الجنة فكيف بالذي يأكل تفاحتين هل سيغفر له الله ؟ وما هو ذنب الإنسان هذا الذي لن يغفره الله؟

وظف الشاعر التناص هنا في التهويل مما سيحدث في الوطن العربي الذي يعيش حالة من الغليان السياسي والاجتماعي بسبب فساد الحكام والملوك.

الأرض سوف تشيخ قبل أوانها
الموت سوف يكون فينا أنهرا
وسيعبر الطوفان من أوطاننا
من يقنع الطوفان أن لا يعبرا[22]

يستحضر الشاعر هنا قصة سيدنا نوح عليه السلام، والطوفان متداخلا دينيا مع النص القرآني، قال الله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ)[23] في توظيف التناص القرآني يزيد الشاعر من التهويل بما سيحدث مستقبلاً، مستعملا قصة سيدنا نوح وعذاب الله المتمثل في الطوفان في واحدة من التنبؤات الصادمة التي تتوالى في هذا النص، وكان صادقا في الطوفان البشري الذي اجتاح معظم الدول العربية آخرها كان السودان بلد الشاعر عبد الباري.

يعود بنا الشاعر إلى أبرز التناصات في القصيدة وهو التناص الديني حين يقول:

ناديت يا يعقوب
تلك نبوءتي[24]
يستحضر الشاعر شخصية يعقوب النبي، لماذا ؟

النبي يعقوب عليه السلام وارتباطه بابنه يوسف عليه السلام أدى إلى تآمر إخوته عليه، ووصل بهم الأمر من شدة الغيرة إلى إبعاد يوسف بأي طريقه عن أبيه سنين عديدة.

وفي ذلك إشارة من الشاعر إلى أن الواقع يشبه إلى حد كبير قصة يعقوب مع أبنائه، نتيجة التآمرات والخيانات التي تعيشها الدول العربية، ثم يقول :

الغيمة الحبلى هنا لن تمطرا[25]

في زمن يوسف ساد القحط سبع سنين، لم تسقط قطرة من السماء، فالغيمة هنا إشارة لهذا القحط، وعلاقته بنص الشاعر تكمن في تشبيهه للثورات على أنها غيمة يرجى منها ما يرجي، لكن نتيجتها غير محسوبة، وهنا مكمن جمالية التناص مع هذه القصة.

يقول الشاعر:

لا تبتئس

فالبئر يوم واحد

وغدا تؤمرك الرياح على القرى[26]

يسترسل الشاعر هنا في تناصاته مع قصة النبي يوسف، حيث يشير إلى محطتين بارزتين في حياته، الأولى هي قصه البئر حين رماه إخوته فيه، والثانية تمثلت في اختياره عزيزا لمصر، وهي بداية زرع الشاعر للتفاؤل والأمل في نفوس القراء بعد حالة التشاؤم واليأس من الأوضاع السائدة.

وقد استحضر الشاعر التناص مع الآيتين :(فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)[27]، وقوله تعالى : (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (54) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (55)).[28]

يقول الشاعر:

اخلع سوادك

في المدينة نسوة

قطعن أيديهن ... عنك تصبرا[29]

يدعو الشاعر هنا إلى الإفراط في التفاؤل والأمل، ويشير في ذلك إلى قصة النساء اللائي قطعن أيديهن حين رأين يوسف النبي، وتقطيعهن لأيديهن نتيجة الانبهار بجماله بعد شوقهن لرؤيته. وذلك كله في تناصه مع قوله تعالى: (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ).[30]

ويقول أيضا :

واكشف لإخوتك الطريق

ليدخلوا

من ألف باب إن أرادوا خيرا[31]

في زمن القحط حين رجع أبناء يعقوب عليه السلام من دون أخاهم، وأرادوا الرجوع للسؤال عنه وطلب الحنطة نصحهم أبوهم بأن يدخلوا من أبواب متفرقة، وهي القصة الدينية التي وظفها الشاعر في تناصه، معبراً عن حالة الارتباك التي تشهدها الأوضاع الاجتماعية والأمنية في فترة من فترات ما يسمى بالربيع العربي، وهو ما يزيد من قوة نصه في اعتماده على جمالية التناص مع قوله تعالى: (وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ

وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ).[32]

يمضي الشاعر في توظيف التناص الديني مع القرآن الكريم وفي قصة يوسف حين يقول :

ستجيء سبع مرة
فلتخزنوا
من حكمة الوجع المصابر سكرا[33]

هي مرحلة من مراحل البداية في حكم يوسف عليه السلام حين فسر رؤية الملك، وتنبئه بالسبع السنين، وزرعها الوفير والسبع العجاف في إشارة من الشاعر إلى نهاية الفوضى التي سادت عموم المنطقة العربية وذلك من خلال تناصه مع قوله تعالى : (قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ13 (47) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ (48) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) [34] .

هي قافلة البشير
تلوح لي
مدوا خيام القلب
واشتعلوا قرى[35]

في إشارة إلى إرسال يوسف لقميصه مع القافلة والقائه على النبي يعقوب ليرتد بصيراً، هنا الشاعر يفرط في تفاؤله بالمستقبل من خلال إبداعه في توظيف تناصه الديني مع القرآن الكريم في قوله تعالى : (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ).[36]

ينهي الشاعر قصيدته بإبداعه في تناصه مع قصة يوسف عليه السلام حين يقول:

اشتم رائحة القميص
وطالما
هطل القميص على العيون وبشرا[37]

وظف الشاعر قصة القميص ليؤكد أن القادم أفضل مبدعافي استعمال التناص، ومستندا في ذلك على قصص القرآن الكريم من خلال قول الله تعالى: (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ (94) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (95) فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (96)).[38]

الخاتمة:

يغوص التناص في ذاكرة القارئ ليحفزها على إستحضار العديد من القصص والنصوص القرآنية والحوادث التاريخية، ويترك له المجال لإبراز المعاني الكامنة في نصه، ويمكننا أن نستنتج مما سبق ما يأتي:

- إن التناص الأدبي يرتقي إلى صورة شعرية، تتجاوز الصورة البيانية مثل التشبيه والاستعارة والكناية، وإن كانت تتكشف أحيانا بأثوابها، فهو طريقة يستعملها الكاتب أو الشاعر ليبين المعنى ويوضحه، ويزيد من قوة نصه حسب تصرفه في هذه المادة وإخراجها اعتمادا على ثقافته العامة وواقعه.
- تختلف جودة التناص من شاعر لآخر حسب الكم المعرفي المتنوع، والقدرة على توظيفها لصالح الفكرة المعالجة؛ ولقد أحسن محمد عبد الباري توظيف المرجعية التاريخية والدينية بشكل خدم الفكرة وجلاها، ومنحها القدرة على التأثير في القارئ.
- يمكن القول إن النص" ما لم تقله زرقاء اليمامة" بناء جديد لمادة قديمة، من خلال ما يحويه من روابط تصل النص بأحداث أو قصص أو آيات قرآنية، وما يعطيه دلالة جديدة في حيز معنى المعنى.
- ساعد التناص الشاعر على إثراء لغته وتنويع دلالات نصه، وبالإشارة والتلميح استطاع أن يوجز ويكثف الدلالة مع إيصال المعنى الذي يريده.

هوامش:

[1] حسن فيلالي، النص السردي، مقاربة سيميائية في شفرة اللغة، دراسة نقدية، ط1، أهل القلم للنشر، ص 21.
[2] عيار الشعر: شرح وتحقيق: عباس الساتر، مراجعة زعيم زرزور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، ص 79.
[3] يوسف واغليسي، تغريبة جعفر الطيار، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، ط2، قسنطينة، 2003، ص 49.
[4] http:// ar.wikipedia.org
[5] محمد عبد الباري، مرثية النار الأولى، منتدى المعارف، بيروت، ص 10.
[6] ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، 1984، ص 8.
[7] مرثية النار الأولى، ص12.
[8] https://ar.wikipedia.org
[9] فاتح علاق، آيات من كتاب السهو، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط 1، الجزائر، 2001، ص 24-25.
[10] مرثية النار الأولى، ص 11-12 .
[11] http:// ar.wikipedia.org
[12] مرثية النار الأولى، ص12.
[13] مرثية النار الأولى، ص12.
[14] المرجع نفسه، ص 27.
[15] سورة الشمس، الآية 11-5.

[16] سورة القمر الآية 18.
[17] بوزيد حرزالله الإغارة منشورات anep، ط1، الجزائر، 2003، ص 110.
[18] سورة يوسف، الآية 10.
[19] سورة الكهف، الآية 16.
[20] مرثية النار الأولى، ص10.
[21] سورة البقرة، الآية 35-36.
[22] مرثية النار الأولى، ص11.
[23] سورة العنكبوت، الآية 14.
[24] مرثية النار الأولى، ص13.
[25] مرثية النار الأولى، ص13.
[26] مرثية النار الأولى، ص13.
[27] سورة يوسف، الآية 15
[28] سورة يوسف، الآية 54-55.
[29] مرثية النار الأولى، ص13-14.
[30] سورة يوسف، الآية 31.
[31] مرثية النار الأولى، ص14
[32] سورة يوسف، الآية 67.
[33] مرثية النار الأولى، ص14
[34] سورة يوسف، الآية 47، 48، 49.
[35] مرثية النار الأولى، ص15.
[36] سورة يوسف، الآية 93.
[37] مرثية النار الأولى، ص.
[38] سورة يوسف، الآية 94، 95، 96.

قائمة المراجع:

- القرآن الكريم

1) الكتب:

1. حسن فيلالي، النص السردي، مقاربة سيميائية في شفرة اللغة، دراسة نقدية، ط1، أهل القلم للنشر.
2. ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، 1984.
3. الزبيدي، تاج العروس، طبعة الكويت، .ج 12.
4. عيار الشعر: شرح وتحقيق: عباس الساتر، مراجعة زعيم زرزور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2،

5. فاتح علاق، آيات من كتاب السهو، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط 1، الجزائر، 2001.
6. محمد عبد الباري، مرثية النار الأولى، منتدى المعارف، بيروت
7. يوسف واغليسي، تغريبة جعفر الطيار، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، ط2، قسنطينة، 2003.

2) **المجلات:**

8. بوزيد حرزالله الإغارة منشورات anep، ط1، الجزائر، 2003.
9. شكري الماضي، ما بعد البنيوية، حول مفهوم التناص، المعرفة السورية، مجلة ثقافية شهرية، العدد 353، شباط 1993،

3) **المواقع الالكترونية:**

10. http:// ar.wikipedia.org